السنة الأولى ماستر: تخصص لسانيات عربية

مقياس: اللغة والجيتمع

الأستاذ/ أنور طراد

المحاضرة الأولى: ارتباط اللّغة بالمجتمع.

1 – حضور اللّغة في المجتمع:

تعرف اللغة على أنها رموز وأصوات ذات دلالة يستخدمها كل قوم للتعبير عن أغراضهم، فهي وسيلة التّواصل الأساسية بين بني البشر، على اختلاف أعراقهم وبلدانهم وطبقاتهم، وهي الأداة التي بها يعبرون عن حاجاتهم، ويفصحون بها عما يجول بداخلهم، وبها ينقلون أفكارهم، ويتبادلون المعارف والخبرات، والمصالح المختلفة.

إنها ظاهرة اجتماعية إنسانية من أعقد الظواهر وأخطرها، لما تؤديه من دور حساس في كل مجالات الحياة، فلا استغناء عنها أبدا، ولا يمكن بأي حال أن نتخيل مجتمعا دون لغة، ولا لغة دون مجتمع، وكل تقدّم اجتماعي كُتب له النّجاح والكمال إنما كان بوجود اللّغة، فالعمل الجماعي بين طائفة من العمال مثلا يكون فيها الرئيس والمرؤوس، لا يكون التّنسيق، والتّنفيذ، والتعاون، والتوجيه، إلا باللّغة، فهي خير وسيلة للتّواصل بينهم.

واللغة أخطر رابطة تاريخية تربط الأجيال ببعضها من الشّعب الواحد، فهي وعاء التّجارب الشعبية، ووعاء العادات والتقاليد والعقائد التي تتوارثها الأجيال، فصفة الاستمرار هذه بين الأجيال لا تكون إلا من طريق اللّغة.[1]

واللغة أخطر الأسلحة النّفسية للسّيطرة على الأفكار والأشياء، وعلى الجمهور، وما أمر الدّعاية والإعلان بالأمر الهين، ففي الانتخابات مثلا وفي التّسويق التجاري، والمحاكم، يكون الطرف الرابح فيها هو الأقدر على استعمال اللغة واللعب بالألفاظ والقدرة على الإقناع باللّغة، وتجد المصلين يغشون المساجد التي يكون فيها إمام مفوّه فصيح خطيب، ذو قوة لغوية، والشخص الذي يملك فن الخطابة يمكنه أن يتقلّد أعلى المسؤوليات والمناصب.

---

[1] ينظر: تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، صفحات المقدمةز

بل إن اللغة أخطر وسيلة حتى في المزاح، فتوقع الطلاق بين الزوجين ولو نطق الزوج باللفظة وهو مازح، فترتب عنها أحكام فقهية صارمة، وباللغة يقع الإصلاح أيضا، وليس بغريب أن يقع المزاح مثلا بين فردين يؤدي إلى تنافرهما مدى الحياة، بسبب وقع اللّغة على النّفس. فالكلمة بإمكانها أن تجمع وأن تفرق، وأن تصلح وأن تفسد، وأن تبني وأن تهدم، بل إن أغلب الحروب الإنسانية التي أسالت كثيرا من الدماء كانت بسبب الكلمة واللّغة، وانطفائها أيضا بكلمة.

ولا يخفى أيضا بأن لكل **جماعة لغوية** لغتهم التي يتواصلون بها، يتفقون في مفرداتها وقواعدها، ونقصد ههنا بالجماعة اللغوية **(مجموعة من الأفراد يشتركون في عدد معتبر من المفردات والقواعد الصوتية والصرفية والنّحوية والدلالية، كما يتفقون في الخلفية الاجتماعية والثقافية، وقد تكون الجماعة اللغوية محدودة العدد وقد تكون واسعة العدد تصل إلى الملايين)**. وقد لا يقع التّجانس التّام بين أفراد هذه الجماعة خاصة إذا كان عددها كبيرا، فيقع اختلاف ما في الأداء والأسلوب، يظهر جليا في اللهجات. وتظهر مستويات تعبيرية تختلف نسبيا من طبقة إلى أخرى، ومن موضع إلى آخر، فلا تسير على وتيرة واحدة، فهناك الفصحى مثلا، وهناك العامية (والعامية عاميات)، ولكل منهما موضع خاصّ.

وقد نجد بعض المجتمعات تستخدم أكثر من لغة، فتتخذ لغة رسمية أولى وثانية، وتستخدم بعض الدول هاتين اللغتين في تواصلهم اليومي. وهو ما يسمى بالثنائية اللّغوية.

والكلام في هذا الباب يطول، ويمكن لأي فرد منّا أن ينظر في حضور اللغة في كل نشاطاتنا ومعاملاتنا اليومية، وفي دورها ووظيفتها الجوهرية الحساسة، وكذلك في اختلاف مستوياتها التعبيرية.

ونظرا للقيمة التي تحتلها اللغة داخل المجتمعات الإنسانية ووظيفتها الجوهرية كانت محل اهتمام القدماء والمحدثين، وقد برز في الآونة الأخيرة علم قائم بذاته يعنى بهذا المجال.

2 – اللّسانيات الاجتماعية (علم اللغة الاجتماعي) مفهومها واهتماماتها:

ظهر في الآونة الأخيرة علم لساني جديد يهتم بدّراسة العلاقة بين اللّغة والمجتمع، سميّ بـ: **اللّسانيات الاجتماعية**. وهو فرع من فروع اللّسانيات يهتم بدراسة اللغة بصفتها ظاهرة اجتماعية ، بحث في العوامل التي تتحكم في الاستعمالات اللّغوية بين الأفراد، وتعدّد المستويات اللّغوية في المجتمع الواحد،

أي الفروق اللّغوية بين طبقات المجتمع والتحولات والانتقالات اللّغوية من طبقة اجتماعية إلى أخرى وأسباب ذلك.

ويمكننا أن نلخص اهتمامات هذا العلم الجديد في نقاط أبرزها:

- تهتم بالصّلة القائمة بين اللّغة والمجتمع وأبعاد هذه الصّلة وأشكالها، والتي يمكن أن نلمسها في جملة من العناصر، منها: تعدّد المستويات اللّغوية في المجتمع الواحد(لغة الإعلام، لغة التواصل اليومي، لغة السياسة، لغة التسويق...) وأيضا التّعدد اللّغوي والازداوجية والثّنائية اللّغوية، وتهتم بتحديد الجماعات التي تستخدمها، والتأثيرات الدّينية، والعرقيّة، والمهنية، والطّبقية، على ذلك الاستعمال.
- تهتم بالصّراعات اللغوية التي تحصل نتيجة تعدّد اللّغات في المجتمع الواحد، وأثر هذا الصّراع، أسبابه، وتقترح الحلول..
- تهتم أيضا بتحديد دلالات الكلمات عن طريق العودة إلى سياقها الاجتماعي (مواقف قائليها وطبقاتهم..)
- تهتم بالفروق اللغوية بين طبقات المجتمع لمختلفة، وترصد أثر هذا الاختلاف والتحول الطبقي على استعمال اللغة.
- تهتم بالتّخطيط اللّغوي والسّياسات اللّغوي للدول. من أجل الحفاظ على الهوية اللغوية.[2]

[2] للاستزادة، ينظر: نجوى فيران، محاضرات في مقياس اللغة والمجتمع.